«عبد الرحمن السميط».. فارس العمل الخيري بإفريقيا

إعداد: التحرير

مولده ونشأته:

وُلد «عبد الرحمن بن حمود السميط» في الكويت عام ١٩٤٧م، ومنذ صغره كان طفلاً متعلقاً بالقراءة وحب المعرفة، إلى جانب ذلك كان متديناً بطبعه منذ أن كان عمره ٦ سنوات، كما أن اشتراكه في الكشافة لمدة ٧ سنوات ترك في حياته بصمات واضحة؛ من حيث التكوين الإسلامي، وتحمّل المشاق، والصبر على شظف الحياة.

وسبب حبه للقراءة وإقباله على مطالعة الفكر المناوئ للإسلام هو البحث عن الحقيقة، وتوسيع مداركه ومعارفه، وكان كلّما قرأ في النظريات اليسارية والماركسية وغيرها ترسّخت في عقله ووجدانه عظمة الإسلام وأهميته، وازداد فخراً وعزاً بالانتماء إليه؛ لما في هذه النظريات من أفكار غثّة وخرافات وأساطير تصطدم بالفطرة الإنسانية، وهو ما كان يدعوه إلى التمسك بالإسلام والدعوة إليه والعمل على نشره، حتى أصبح من المؤمنين بأن الإسلام سبق جميع النظريات والحضارات والمدنيات في العمل التطوعي والإنساني وغيره.

تعلّمه:

تعلّم «عبد الرحمن السميط» في مدارس الكويت حتى المرحلة الثانوية، ثم حصل من جامعة بغداد على بكالوريوس الطب والجراحة في يوليو عام ١٩٧٢م، غادر بعدها إلى جامعة ليفربول في المملكة المتحدة للحصول على دبلوم أمراض المناطق الحارة في أبريل / ١٩٧٤م، ثم سافر إلى كندا ليتخصص في مجال الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية، وتخصص في جامعة ماكجل - مستشفى مونتريال العام - في الأمراض الباطنية، ثم في أمراض الجهاز الهضمي بوصفه طبيباً ممارساً من يوليو / ١٩٧٤م إلى ديسمبر / ١٩٧٨م، ثم عمل طبيباً متخصصاً في مستشفى كلية الملكة في لندن من عام ١٩٧٩م إلى ١٩٨٠م.

وفي أثناء دراساته العليا في الغرب كان يجمع من كل طالب مسلم دولاراً شهرياً، ثم يقوم بطباعة بعض الكتيبات، ويقوم بتوصيلها إلى جنوب شرق آسيا، وإفريقيا، وغير ذلك من أعمال البر والتقوى.

ثم عاد إلى الكويت للعمل فيها بعد سنين الخبرة التي قضاها في الخارج، حيث عمل «أخصائياً» في «مستشفى الصباح» في الفترة

من ١٩٨٠م – ١٩٨٣م، ونشر العديد من الأبحاث العلميـــة والطبية في مجـــال القولون والفحص بالمنظار لأورام السرطان.

محطات علمية ومهنية:

قدّم «السميط» فكره وإرثه الثقافي والعلمي والخيـــري في كتابات؛ كان أهمهـــا أربعة كتب، هي: «لبيـــك إفريقيا،» «دمعة علـــى إفريقيا»، «رســـالة إلى ولدي»، «العرب والمســـلمون في مدغشـــقر»، بالإضافة إلى العديد من البحوث، وأوراق العمل، ومئات المقالات التي نُشرت في صحف متنوعة.

تبرّع «السميط» بمكافأة «جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام» (٧٥٠ ألف ريال سعودي) لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء إفريقيا

وتولّـــى كذلـــك العديد مـــن المناصب، كان معظمها في مؤسسات العمل الخيري، حيث تولّى منصب أمين عام «جمعية مســـلمي إفريقيا» عام ١٩٨١م، وما زال على رأس الجمعية بعد أن تغيّر اسمها إلى «جمعية العون المباشر» في ١٩٩٩م، ويشـــغل كذلك منصب رئيس مجلـــس البحوث والدراسات الإسلامية.

ونال «السميط» عدداً من الأوسمة والجوائز والدروع والشـــهادات التقديرية؛ مكافأة له على جهوده في الأعمـــال الخيرية، ومـــن أرفع هذه الجوائز «جائزة الملك فيصـــل العالمية لخدمة الإســـلام»، والتي تبـــرّع بمكافأتهـــا (٧٥٠ ألف ريال ســـعودي) لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء إفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقّت أعداد كبيرة من أبناء إفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة.

وبحســـب ما يُروى في ســـيرته؛ فإن الشيخ تعرّض في إفريقيا للاغتيال مرات عديدة من قِبل الميليشيات المســـلّحة؛ بسبب حضوره الطاغي في أوســـاط الفقراء والمحتاجين، بالإضافة إلى معاناتـــه مع الفقراء، وتحمّله لســـعات البعوض، والأمراض والأوبئة في مناطق متنوعة في البلاد الإفريقية.

كما أنــه أحد أعضاء «هيئة المستشــارين» لمجلة «قراءات إفريقية»، وقد شرّفنا في المجلة بكونه أحد مستشاريها.

التوجه نحو إفريقيا:

كان سبب اهتمام «السميط» بإفريقيا دراسة ميدانيــة للجنة أكــدت أن ملايين المســلمين في القارة الســوداء لا يعرفون عن الإســلام إلا خرافات وأساطير لا أساس لها من الصحة، ومن ثمّ فغالبيتهــم - وبخاصة أطفالهم في المدارس - عرضة للتنصير، وقد نتج عن ذلك أن عشرات الآلاف في تنزانيا وملاوي ومدغشــقر وجنوب الســودان وكينيا والنيجر، وغيرهــا من الدول الإفريقية، صاروا ينتسبون إلى النصرانية بينما آباؤهم وأمهاتهم من المسلمين!

وتعــود قصة ولعه بالعمل فــي إفريقيا حين عاد إلى الكويت في أعقاب اســتكمال دراساته العليا، حيث تكمن في داخله طاقة خيرية عظيمة أراد تفجيرها، فذهب إلى وزارة الأوقاف وعرض على المسؤولين رغبته في التطوّع للمشاركة في الأعمال الخيرية، غير أن البيروقراطية الرسمية كادت أن تحبطه وتقتل حماســه، لكنّ الله شــاء له أن يســافر إلى إفريقيا لبناء مســجد لإحدى المحسنات الكويتيات في ملاوي، فشاهد هناك ملاييــن البشــر يقتلهم الجــوع والفقر والجهل والتخلّف والمرض، وشــاهد وقوع المســلمين فريســة تحت أيدي المنصّريــن الذين يقدّمون إليهم الفتــات والتعليم لأبنائهــم في المدارس التنصيريــة، فتحمّس لإغاثة هؤلاء المســلمين، وإنقاذهم من مخططات التنصير، ووقع حب هذه البقعة في قلبه ووجدانه، وسيطرت على تفكيره.

أصبحت «جمعية العون المباشر» التي أسّسها «السميط» أكبر منظمة عالمية في إفريقيا كلّها، يدرس في منشآتها التعليمية أكثر من نصف مليون طالب...

بــدأ «الســميط» عمله الخيــري والدعوي والتنموي بدايات بســيطة في دولة الكويت، لكنه غلّفه بطموحــات كبيرة، وكان ذلــك في أواخر الســبعينات الميلادية من القــرن الماضي، فلم تلبث هذه البدايات أن كبرت معه، حتى أصبحت «جمعية العون المباشر» التي أسّسها هناك أكبر

منظمة عالمية في إفريقيا كلّها، يدرس في منشآتها التعليمية أكثر من نصف مليون طالب، وتمتلك أكثر من أربع جامعات، وعدداً كبيراً من الإذاعات والمطبوعات، كما قامت بحفر أكثر من (٨٦٠٠) بئر وتأسيسها، وإعداد أكثر من (٤٠٠٠) داعية ومعلّم ومفكّر وتدريبهم.

المؤلفات:

١ - كتاب «لبيك إفريقيا».

٢ - كتاب «دمعة على إفريقيا» (مع آخرين).

٣ - كتاب «رحلة خير في إفريقيا»، «رسالة إلى ولدي».

٤ - كتاب «قبائل الأنتيمور في مدغشقر».

٥ - كتاب «ملامح من التنصير» - دراسة علمية.

٦ - «إدارة الأزمات للعاملين في المنظمات الإسلامية» (تحت الطبع).

٧ - «السلامة والإخلاء في مناطق النزاعات».

٨ - كتاب «قبائل البوران».

٩ - «قبائل الدينكا».

١٠ - «دليل إدارة مراكز الإغاثة».

مشاركات علمية وإسلامية:

دور الإعلام في العمل الخيري - بحث ألقي في ماليزيا ١٩٨٩م.

الإدارة الحديثة في العمل الخيري - محاضرة ألقيت في «مؤتمر الإدارة العربية» بالقاهرة ١٩٨٩م.

الإسقاطات الأمنية للعمل الخيري - محاضرة ألقيت في أكاديمية الأمير نايف ١٩٩٩م.

بحث التنمية البشرية «تجربة جمعية العون المباشر» - غرفة التجارة والصناعة في الدمام.

مئات المقالات الإسلامية في صحف ومطبوعات مختلفة.

أمل ودعاء:

الحالة الصحية للشيخ الجليل «عبد الرحمن السميط» هذه الأيام غير مستقرة، ويخضع لعناية مركّزة في «مستشفى الصباح» بالعاصمة الكويتية (الكويت)، نسأل الله عز وجل في ختام هذه المقالة أن يمنّ عليه بالشفاء العاجل، وأن يختم أعماله بالصالحات، ويجازيه خيراً عما قدّم لهذه الأمة وهذا الدين العظيم.

المراجع:

- موسوعة ويكيبيديا.
- مجلة البيان.
- موقع إسلام أون لاين.
- موقع جمعية العون المباشر.